قراءة

محمد شكري في سياق عربي

جوعٌ في الفردوس

يقرأ الكتاب الجماعيُّ الصادر حديثاً بالإنكليزية عن «دار روتليدج»، بتحرير يونس البستي وروجر آلن، أعمال الكاتب المغربي الروائية والقصصية، رادّاً فرادتها إلى جرأتها في تناوُل الأوضاع الاجتماعية والسياسية للطبقات الفقيرة في المغرب

أسامة إسبر

كتب الروائي والقاصّ المغربي محمد شكري (1935 - 2003)، روايـات وقصصاً قصيرة مختلفة وأصيلة عكست قدرته على تجاوُز لغة السرد السائدة وتحريرها من مرجعيّاتها الأيديولوجية والفكرية والأكاديمية والبلاغية التقليدية. تحوّلت لغة السرد لديه إلى صوت للواقع، همس فيه كلماته الممنوعة والمقموعة والمهمّشة، ليعبّر من خلاله المهمّشون واللامرئيون والفقراء الذين تقطّعت بهم السبل عمّا عُدّ من المحرّمات في اللغة العربية، فاضحاً بذلك ظروفاً قاسية.

شكّل واقع القاع الاجتماعي المغربي لشكري مصدراً تدفّقت صوره كالينبوع وسقت سرده وانعشته ومنحته أغصاناً تفرّعت في الجهات كلّها شدّت القرّاء في مختلف البلدان العربية إلى قراءة أعماله. أهمّية نتاجه في سياقه العربي هي التي دفعت «جامعة ييل» الأميركية إلى عقد مؤتمر حول نتاجه الروائي والقصصي في تشرين الأوّل/ أكتوبر 2022، تُوّج لاحقاً بكتاب بعنوان «قراءة في الأعمال الروائية والقصصية لمحمد شكري: جوع في الفردوس»، حرّره الأكاديميان والمترجمان يونس البستي وروجر آلن، وساهما فيه مع عدد آخر من الأكاديميّين والباحثين، وصدر بالإنكليزية عن «دار روتليدج» عام 2024. يعمل البستي أستاذاً في «جامعة ييل» وهو مترجم وشاعر. أمّا روجر آلن فهو ناقد ومترجم عمل لمدة 43 سنة أستاذاً للغة العربية والأدب المقارن في «جامعة بنسلفانيا».

تُضيء مقالات الكتاب رحلة شكري الأدبية والفكرية في غِناها وتعقيدها وتدرس تطرّقه للموضوعات التي عُدّت «غير أخلاقية» في المجتمع المحافظ في المغرب. في مقالته «مجموعتا محمد شكري القصصيتان: مجنون الورد والخيمة»، يتحدّث يونس البستي عن بدايات شكري، وكيف نُشرت له قصّة قصيرة بعنوان «العنف على الشاطئ» في مجلّة «الآداب» اللبنانية عام 1966، بعد أن أُعجب بها الروائي اللبناني ورئيس تحرير المجلّة سهيل إدريس، وكانت هذه بداية انطلاقة شكري ككاتب جريء ومتمرّد، خاصّة أنّ القصّة تصف ممارسة للجنس تمّت علناً وفي وضح النهار، ولم يكن هذا مألوفاً في القصص العربية آنذاك. إلّا أنّ ما منح شكري شهرته اللاحقة هو ترجمة روايته «الخبز الحافي» إلى الفرنسية، ويُقال إنّه لولا هذه الترجمة لظلّ شكري معروفاً على نطاق محدود مثل محمد زفزاف.

ركز البستي في مقالته على مجموعتَي محمد شكري القصصيّتين «مجنون الورد» (1978)، و«الخيمة» (1985)، اللتين تجلّى فيهما إبداع شكري في فنّ القصّة القصيرة ووصفه البارع وتصويره الدقيق للبيئة ومهارته الفنّية. ويرى البستي أنّ نشر شكري سيرته الذاتية «الخبز الحافي»، جذب الانتباه إليه على حساب قصصه القصيرة التي ظلّت مُغفلة على نطاق واسع.

اقتحم شكري المشهد الأدبي، منتهكاً الحدود الاجتماعية والدينية والثقافية، وتجرّأ على قول ما لم يُقل، وانتقد ما عدّه الآخرون موضوعات محرّمة كما يقول البستي. وتدعو قصصه القرّاء إلى مقاربة الأمكنة من منظار سكّانها المحلّيّين، وهي تدور حول موضوعات البؤس والدعارة والعنف والإجرام، لكنه يُضمّن في هذه الموضوعات الكبيرة انعكاسات عميقة للطبيعة الإنسانية والحب والتواضع واللطف. تختلف القصص في تقنيتها السردية وبنيتها عن النصوص الأدبية الغربية، كما عند إدغار آلان بو وغي دو موباسان، ونيقولاي غوغول. وفي نطاق الأدب العربي، تختلف عن أساليب كتّاب مثل زكريا تامر ويوسف إدريس. ويرى البستي أنّ شكري ظلّ مخلصاً لخلفيته الأدبية وغرائزه القصصية، من خلال تقديم قصص عكست حياة سكّان طنجة ومعاناتهم، وعبّرت عن المكان والزمان والمزاج.

> جوانب مختلفة من تجربة شكري وترجمته إلى اللغة الإنكليزية

> عكْس سيرته الذاتية، ظلّت قصصُه مجهولةً على نطاق واسع

ما يميّز شكري، بحسب المقالة، أنّه يصدم القارئ ويدفعه إلى تكوين وَعْي عن الواقع في حقيقة تجلّيه. ذلك أنّ روايَة القصص على حقيقتها، وليس كما يجب أن تكون، هي ما يثير الإعجاب في كتابات شكري ويؤكّد مكانته البارزة في الأدب العربي. إنّ الأوضاع الاجتماعية والسياسية المريعة للطبقات الفقيرة في المغرب جَرّدت المرء من إنسانيته؛ الأمر الذي أدّى إلى انهيار القيم ومصادرة حقوق الإنسان في جوّ ساد فيه الحُكم القمعي وسيطرت الدعاية على العقول وتفشّى البؤس واللامساواة وتمّ تقييد الحريات. وهذا ما كشفه شكري عن طريق تصوير الظروف التي تعيش فيها شخصيّاته، استطاع بفعله ذلك أن يُلقي الضوء على أوضاع لن يستطيع المرء أن يكوّن فكرة عنها بطريقة أخرى كما يرى البستي.

إنّ التزام شكري برواية قصص الناس الذين يصارعون للبقاء على قيد الحياة يمكن النظر إليه بوصفه فعْل تمرّد فكريّ، ذلك أن نثره، وفق البستي، يعيد إحياء الروح الثورية في وطنه، مشجّعاً على المقاومة المتواصلة وتحدّي القمع وأدواته، كما يرى أنّ انعدام الأخلاق ناجم عن القمع والظلم اللذين يفرضهما نظام فاسد يسعى إلى إسكات الجماهير وسجن المنشقّين، وهذه استراتيجية تميزت بها الفاشية. كما أشار البستي إلى نقطة هامة: «رغم أنّنا يمكن أن ننظر إلى حياة شكري بوصفها قصّة نجاح، فقد تغلّب فيها الكاتب على الأمية والفقر والتهميش من خلال قوّة الإرادة، إلّا أنّه يتجنّب إبداع شخصيّات قادرة على الخروج من مصائبها، وبدلاً من ذلك يُجبر القارئ على التفكير بالرجال والنساء اليوميّين الذين يصارعون يومياً من أجل البقاء». مقالة روجر آلن «التاريخ الأدبي المغربي ومحمد شكري»، تحفر في اتجاه آخر، محاولةً أن تبني خلفية كي تضع أعمال الكاتب في سياق أوسع. بقدّم آلن في مقالته بعض الأفكار حول التاريخ الأدبي وإشكاليّاته، مركّزاً على كتابة تواريخ الأدب العربي الحديث وتطوّر الرواية العربية الحديثة في المغرب، ومكانة شكري في هذا السياق.

يقول آلن إن ثلاثية شكري، وخاصّة «الخبز الحافي»، حقّقت له شهرة كبيرة في العالم العربي، وفي العالم الغربي إلى حدّ ما، إلّا أن مُنجزه السردي لم يُدرَج على نحو كامل وفعّال في المتن الأوسع للأدب العربي الحديث؛ الأمر الذي أدّى إلى إغفال مجموعتيه القصصيّتين «مجنون الورد» و«الخيمة». ويرى آلن أنّ شكري صوتٌ يحتاج إلى أن يُدرج في سياق أوسع، في متن السرد الذي أبدعه كتّاب مختلفون في العالم الناطق بالعربية المُلهم من التراث والواقع الاجتماعي الحالي والقائم على التجريب.

يستخدم روجر آلن في مقالته مصطلح «الواقعية الوحشية» في سياق حديثه عن قصص شكري القصيرة، وفيه ما يصلح لتوصيف تجربته الكتابية بصفة عامّة لتحديد خصوصيتها بالمقارنة مع أشكال أخرى من الأدب الواقعي، كالواقعية القذرة التي تميّز بها مثلاً القاصّ الأميركي ريموند كارفر، والواقعية السحرية لأدب أميركا اللاتينية.

يضمّ الكتاب مقالات أُخرى تُلقي الضوء على جوانب مختلفة من تجربة محمد شكري القصصية والروائية وعلى ترجمته إلى اللغة الإنكليزية. وقد جاءت هذه المقالات بتوقيع كلّ من: قصي العتابي، وحنان بنودي، وإيان كامبل، وأنور التونسي، وتوريا خنّوس، وناتالي غزال، ومبارك شريفي؛ تطرّقت كلّ واحدة منها إلى شكري من منظور مختلف.

يأتي الكتاب تتويجاً لجهود نقديّة وأكاديمية تهدف للتعريف بمحمّد شكري في اللغة الإنكليزية على نطاق واسع، وتترافق مع مشروع البستي لترجمة الأعمال الكاملة لشكري إلى الإنكليزية، والتي صدر منها حتى الآن «حكايات طنجة». يضمّ المجلّد الأعمال القصصية الكاملة، و«وجوه»، الجزء الثالث من ثلاثيّته المعروفة. إنها ثمرة جهود أكاديمية مشتركة تهدف إلى تسليط الضوء على تجارب أدبية مغايرة تشكّل إضافة في اللغة العربية، تواكبها جهود تحاول أن تتجاوز الدوافع الأنثروبولوجية والأيديولوجية للترجمة نحو تقديم القصص والروايات العربية المتفرّدة فنّياً، والتي تُشكّل إضافة في جنسها الأدبي والقادرة على إغناء حساسية القرّاء في اللغة الأخرى التي تُنقل إليها.

(شاعر وكاتب سوري مقيم في الولايات المتحدة)

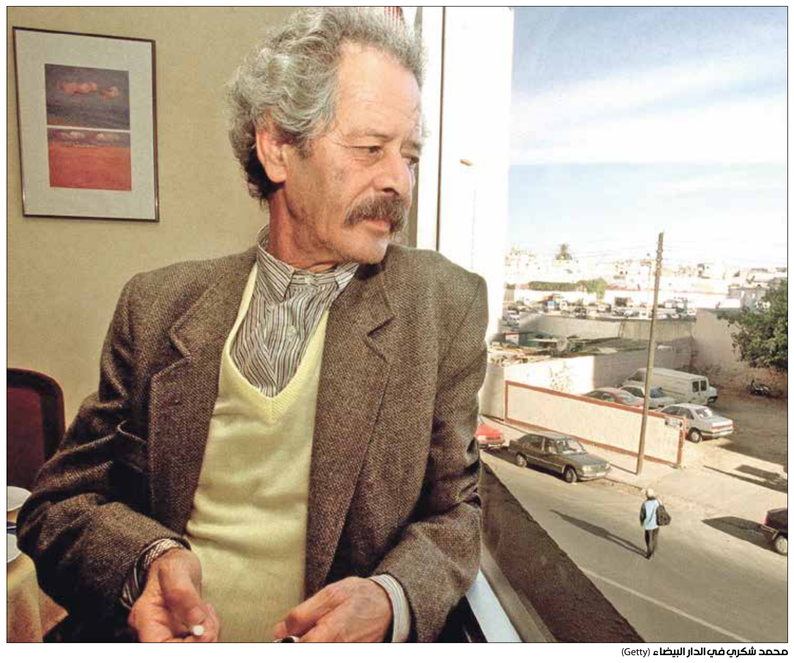

محمد شكري في الدار البيضاء (Getty)

تجارب مغايرة

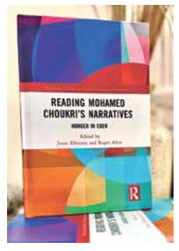

يأتي الكتاب تتويجاً لجهود نقديّة وأكاديمية تهدف للتعريف بمحمّد شكري في اللغة الانكليزية على نطاق واسع، وتترافق مع مشروع البستي لترجمة الاعمال الكاملة لشكري الى الانكليزية، والتي صدر منها حتى الان «حكايات طنجة». يضمّ المجلّد الاعمال القصصية الكاملة، و«وجوه»، الجزء الثالث من ثلاثيّته المعروفة. إنها ثمرة جهود اكاديمية مشتركة تهدف الى تسليط الضوء على تجارب ادبية مغايرة تشكّل إضافة في اللغة العربية.

معرض

حكايات فلسطينية سيرة تربويّ قبل الاحتلال

ما يرويه أرشيف علي رشيد شعث

من خلال حياة التربوي والكاتب الفلسطيني، يعكس المعرض المُقام حالياً جوانب من الحياة الاجتماعية في فلسطين خلال النصف الأوّل من القرن العشرين

عمّان ـ العربي الجديد

في عام 1947، قدّم علي رشيد شعث استقالته من موقعه مديراً لمدرسة العامرية في يافا، احتجاجاً على فصل السلطات البريطانية بعض الطلبة الفلسطينيّين، وتوجيه عقوبات لعدد من المعلّمين بسبب مشاركاتهم في مظاهرات ضدّ الاستعمار، لينتقل بعدها إلى الإسكندرية من أجل تأسيس أوّل فرع لـ«البنك العربي» فيها.

مرحلة جديدة في حياة التربوي والكاتب الفلسطيني علي رشيد شعث (1908 - 1967)، الذي وُلد لعائلة غزّية أقامت في القدس حيث تعلّم في مدارسها، ثم تخرّج من كلّية العلوم في «الجامعة الأميركية» ببيروت، وهو المسار الذي يتناوله معرض «حكايات فلسطينية: ذاكرةُ تقاوم النسيان» في «بيت الذاكرة - شبكة متاحف القدس» بعمّان، الذي افتتح أمس الجمعة ويتواصل لثلاثة أيام.

يضيء المعرض جوانب متعدّدة من شخصية عملت في التدريس قرابة ثمانية عشر عاماً في عدد من مدن فلسطين، قبل أن يتوجّه إلى العمل المصرفي بين مصر والأردن والسعودية ويمضي فيه زهاء عقدين، من دون أن يتخلّى عن شغفه بالأدب وتاريخ العلوم؛ حيث ترك مؤلّفات عدّة، هي: «طرائف العلماء» و«من البنسلين الى القنبلة الذرّية» و«اتجاهات جديدة في صراعنا مع إسرائيل»، بحسب ما أورده خير الدين الزركلي في كتابه «الأعلام»، كما سنجد اسمهُ مع مؤلّفين آخرين على منهاج أصول الحساب الحديث التي أقرّتها دائرة المعارف في فلسطين الانتدابية خلال الأربعينيات.

يتضمّن المعرض مجموعة مواد تعمل عليها حفيدة الراحل، الباحثة والكاتبة المصرية سمر دويدار، منذ عام 2019، حيث تسلّمت أرشيفه من والدتها الفلسطينية، هو يحتوي أكثر من 300 رسالة ووثيقة و600 صورة عائلية. وتكمن أهمّية هذا الأرشيف في استعادة فترة مهمّة من التاريخ الفلسطيني قبل الاحتلال الإسرائيلي، من خلال وصف شعث مظاهر الحياة الاجتماعية في القدس ويافا وغزّة وصفد آنذاك، وكذلك تناوله لرحلاته إلى إيطاليا والولايات المتّحدة. وتعكس الرسائل أسلوباً أدبياً مميّزاً ينتمي إلى تلك الفترة التاريخية في تنويعاته اللغوية وتوظيف السخرية أحياناً، وإبراز الحنين إلى العمل التربوي والتعليمي، وكذلك استخدام عبارات ومجازات تشير إلى سعة ثقافة صاحبها واطّلاعه على الموسيقى والسينما.

يدوّن شعث في رسالة إلى زوجته سميحة التنير، مؤرّخة في السابع والعشرين من آذار/ مارس 1955، بعد غيابه عن فلسطين نحو ثمانية أعوام: «نعم..ها أنذا أعودُ يا سميحةُ إلى وطني الحبيب بعدَ أن غبتُ عنهُ حِقبَةً طويلةً تكادُ تبلغُ التِّسعَ سنواتٍ عَصَفَتْ خِلالَها بِهِ العواصِفُ العاتِيَةُ.. نعم ها أنذا أعودُ إلى وطني المجزّأ المُحَطَّم، الذليلِ المُثَخَّنِ بالجراحِ لأراهُ حزيناً، مُنَكَّسَ الرأسِ بعدَ أن جرَّدَهُ عدوُّنا من يافا واللِدِّ والرَّمْلَةِ وصَفَدَ وحيفا والناصرة – مَرابِعِ الطفولةِ ومسارحِ الشباب.. فما أشَدَّ مرارةَ عودَتِكَ يا عليّ! وما أقساها على نفسِكَ التي كثيرًا ما مَنَّيْتَها بيومِ النصرِ وساعةِ الخَلاصِ والتحرُّر».

ضمن مبادرة مصرية فلسطينية أطلقتها في نهاية 2019، تسعى سمر دويدار إلى توثيق الحياة الشخصية والعائلية، والاجتماعية والثقافية والاقتصادية لسكّان فلسطين ما قبل عام 1948، حيث يمكن الاطلاع عليها في موقع إلكتروني باسم «حكايات فلسطينية» www.palestinianstories.com، جرى تصميمه على شكل أنشطة تفاعلية ومواد إعلامية حيّة مرئية ومسموعة، يشتمل عليها المعرض الذي يحمل اسم المبادرة.

> يُضيء مظاهر الحياة الاجتماعية في القدس ويافا وغزّة وصفد قبل 1948

تستعيد الوثائق ذكريات شعث عن المقاومة الفلسطينية للمشروع الصهيوني والاستعمار منذ العشرينيات، وعن انتقال عائلته من غزّة - مسقط رأسه - إلى القدس، وعن عمله معلّماً، وفي المناصب الإدارية التي تولّاها في جهاز التعليم الفلسطيني، بالإضافة إلى زواجه، كما تعرض الصور لقطات من عمله مدرّساً، ورحلاته مع الطلبة، وحفلات التخرّج، وحفل زواجه وشهر العسل الذي قضاه مع زوجته في الإسكندرية، وغيرها.

حفل تكريم ووداع علي شعث مدير مدرسة العامرية في يافا عام 1947 (حكايات فلسطينية)

مع غزّة

سأرسم لأطفال فلسطين

سلام عمر

سلام عمر

بغداد ـ العربي الجديد

■ ما الهاجس الذي يشغلك هذه الأيام في ظلّ ما يجري من عدوانٍ إبادةٍ على غزّة؟

في الحقيقة، أنا في غاية الإحباط والخيبة ممّا نحن عليه من عجز كامل إزاء ما يجري من إبادة للشعب الفلسطيني. هذا الشعور بالعجز لا يمنحني معنىً لما يُمكن أن أقوم به أمام تلك الجرائم. الشيء الوحيد الذي لا يجعلني أفقد الأمل نهائيّاً من عالمنا هو ما نشهده من تظاهرات غاضبة وناقمة ورافضة للاحتلال الصهيوني ومن معه، وداعمة للفلسطينيّين في كلّ مكان من العالم إلّا في منطقتنا العربية.

■ كيف أثّر العدوان على حياتك اليومية والإبداعية؟

كفنّان تشكيلي، تسيطر عليَّ مشاعر الغضب، لكنّني لا أجد في الفعل الفنّي جدوىً لمنع القتل سوى أن أكون - مُرغماً - شاهداً على ما يحدث.

■ إلى أيّ درجة تشعر أن العمل الإبداعي ممكنٌ وفعّال في مواجهة حرب الإبادة التي يقوم بها النظام الصهيوني في فلسطين اليوم؟

لكي يكتمل تأثير الفعل الفنّي الإبداعي على الكيان، يجب أن يكون معه حراكٌ من الحكومات، من مقاطعة في كلّ شيء، وضغط إقليمي وعربي، وإلّا فالعمل الفنّي والإبداعي سيكون معزولاً حتى في الفضاء المحلّي.

■ لو قُيّض لك البدء من جديد، هل ستختار المجال الإبداعي أو مجالاً آخر، كالعمل السياسي أو النضالي أو الإنساني؟

بالتأكيد لن أختار غير الفنّ، فهو أنقى وأبقى من السياسة ويعيش أكثر، كما أنّه يصبّ في جوهر الإنسان.

■ ما هو التغيير الذي تنتظره أو تريده في العالم؟

شعوب العالم أصبحت في حراكها النضالي مع فلسطين أفضل منّا وأشجع وأكثر صراحة. لكنّ حكوماتهم أصبحت تشبه حكوماتنا العربية في الإهمال والقمع. أنتظر الصحوة الإنسانية الكاملة.

■ شخصية إبداعية مقاومة من الماضي تودّ لقاءها، وماذا ستقول لها؟

كلّ مَن قاوم الظلم هو حيٌّ ويعيش معنا في الحاضر والمستقبل. أنا ألتقي بهم كلّ يوم حينما أُنجز عملاً فيه مقاومة، أو حين أكون محبَطاً فأشكو لهم حزني وخيبتي.

■ كلمة تقولها للناس في غزّة؟

> لن أختار غير الفنّ، فهو أنقى من السياسة ويصبّ في جوهر الإنسان

أنتم شرف هذه الأرض، وشجاعتكم نُصرة لضعفنا، والأرض كلّها ستعود إليكم.

■ كلمة تقولها للإنسان العربي في كلّ مكان؟

هل ثمّة أضعف منّا؟ ما أضعفنا!

■ حين سُئلت الطفلة الجريحة دارين البيّاع التي فقدت معظم أفراد عائلتها في العدوان، ماذا تريدين من العالم، أجابت «رسالتي للناس إذا بيحبوا دارين يكتبوا لي رسالة أو أي إشي».. ماذا تقول لدارين ولأطفال فلسطين؟

سأرسم لها ولأطفال فلسطين رسومات توثّق شجاعتهم وعجز العرب عن حمايتهم.

بطاقة

فنّان تشكيلي عراقي من مواليد 1960 في مدينة عنّة، غربي العراق، حاصلٌ على دبلوم في الحفر الطباعي، وبكالوريوس في الرسم من «كلّية الفنون الجميلة» في بغداد. فنّان متعدّد الوسائط، من الحفر الطباعي إلى التصوير اليدوي والشمسي والتجهيز. أقام أكثر من خمسة عشر معرضاً فردياً منذ عام 1987 في بغداد ومدن عربية أُخرى؛ مثل الدوحة وبيروت وأبوظبي ودمشق والكويت والبحرين. يعمل حالياً على إنجاز مجموعة من الأعمال الفنّية التي توثّق للحرب على غزّة ودمارها.

فعاليات

يقيم «المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات» في عمّان، عند السادسة من مساء غدٍ الأحد، محاضرة تحت عنوان **الذكاء الاصطناعي: الإشكاليات الأخلاقية ونظرة نحو المستقبل** للأكاديمية والباحثة الأردنية **تهاني الخطيب**. تضيء المحاضرة كيفية استخدام تطبيقات أدوات الذكاء الاصطناعي وتحدّيات الممارسة الأخلاقية.

تُطلق كلّية الدراسات الإسلامية في «جامعة حمد بن خليفة»، عند الثانية من بعد ظُهر بعد غدٍ سلسلة محاضرات عامّة عن **مقدّمة ابن خلدون**، ويتواصل تقديمها كلّ اثنين حتى 16 كانون الأوّل/ ديسمبر المقبل. يضيء استاذ دراسات الحضارة والباحث التركي **رجب شانتورك** في هذه المحاضرات كيف اسهمت المقدّمة التي تضمّنت نظريات غير مسبوقة في تأسيس علم الاجتماع الحديث.

تنطلق، عند السادسة والنصف من مساء اليوم، في «دار الثقافة» بمدينة القلعة الكبرى، فعاليات الدورة الرابعة من **الصالون الجهوي لنوادي الفنون التشكيلية والبصرية** في دور الثقافة لولاية سوسة. يشتمل الصالون على معارض تشكيلية، ومجموعة من الورش في الرسم والخطّ والتدوير، ولقاءات مع الفنّانين المشاركين.

يُعرض، عند الحادية عشرة وربع من صباح غدٍ، في «سينما غينيسيس» بلندن، فيلم **باشوف النجوم في عزّ الظهر** للمُخرج **سعيد تاجي فاروقي**. يُصوّر الفيلم تجربة شاب مغربي يحاول عبور مضيق جبل طارق والدخول بشكل غير قانوني الى إسبانيا عن طريق الاختباء على متن سفن الشحن، او ركوب قوارب مطاطية.